محمد الأمّــي (١٦)

طلب المدرب المحترف الدكتور بشــير الرشــيدي كعادتــه في بداية دورته (إدارة الــذات) إلى كل متدرب أن يعرِّف ويقدِّم نفسه بسيرة موجزة إلى إخوانــه الحاضريــن من المتدربين . فقــدَّم المتدرب الأول نفســه ثم الثاني ثــم الثالــث ... إلى أن وصل الــدور إلى محمد . قام الشــاب محمد صاحب الجنســية العُمانية وقدَّم نفســه للدكتور والحاضرين ثم قال : ســببين هما وراء حضــوري لهذه الدورة : الأول هو عنوان الدورة الجميل (إدارة الذات) ، والسبب الثاني كان جنسية المدرب .

لقــد قلت لنفســي متعجبا : مدرب كويتي يتكلم عــن علم النفس ! ماذا عســاه أن يقدم لنا ؟! أتوقــع أن تكون معلومات هذا المدرب ســطحية ، وأنِّي لــن أجد لديه عظيم نفــع أو جديد معلومات أو مهارات . وبعد تفكير طويل وحــوار مع النفس كثير ، قلت لنفســي : هذا لا يمنع مــن خوض التجربة ، سأســافر إلى الكويت وأحضر هذه الدورة . وأحب إخواني قبل أن أقعد - إن ســمحتم لي وســمح لي الدكتور - أن تسمعوا منِّي قصتي الغريبة التي قد تفيدكم في دوراتكم القادمة ، لأنِّي نموذج حي كما أظن لكيفية إدارة الذات .

---

(١٦) المصدر : كتاب تحرر من قيودك للدكتور بشير الرشيدي .. بتصرف .

obeikandl.com

عـام ١٩٨٤ وعندما بلغت الرابعة والعشـرين من العمر ، وظفني والدي سـائقاً في دكّانـه أوصل الطلبـات وأجلب للدكّان ما يحتـاج إليه من مواد غذائيـة وأغراض وسـلع جديدة . بلغـت الرابعة والعشـرين وأنا لا أعرف القـراءة أو الكتابـة أبداً أبداً . لذا فقد كنت أتعجب من المحاسـب الهندي الـذي يعمل عنـد أبي لقدرته على سـرعة الحسـاب وجودتـه في القراءة والكتابـة ، وأعجب بالمقابل من عجزي عن الوصول إلى مسـتواه أو شـيء يسير من مستوى سرعة حسابه وقراءته وكتابته .

كنت كلما سـألت المحاسـب الهندي عن القراءة والكتابة أو الحساب أو أي أمـر في المعارف والعلـوم ، أجاب قائلاً : هذه ليسـت للعرب .. هذه أكبر بكثير من مستوى عقلك ومهاراتك ، أنت مجرد سائق ، فاذهب إلى سيارتك وأحضر الأغراض . حطمتني وشـلَّتني كلماته .. فأصبحت سـيء التقدير لذاتي ، لقد صدقت عجزي وتواضع مهاراتي وصعوبة العلوم والتعلم . لذا فقد تعلمت في هذه الفترة تعاطي الحشيش الذي وجدت فيه أنساً ينسيني ما أنا فيه من التخلف والعجز والتشتت .

ظلت فكرة تعلم القراءة والكتابة تراودني ، لكني كنت أطردها دائماً من خاطري . لست صغيراً حتى أبدأ بالتعلم .. فالتعلم في الصغر كالنقش في الحجر ، لقد كبرت وشاخ عقلي ، لقد فات القطار ، والمثل الخليجي يقول : " القط الكبير لا يتعلم " ، والشاعر يقول : ومن فاته التعليم وقت شبابه ، فكبِّر عليه أربعاً لوفاته .. هكذا كان الحوار دائماً يدور داخل نفسي .

ورغم كل ذلك ، ظلت فكرة التعلم تلُح عليَّ باستمرار بأنَّ الزمن معك ، وأنَّ كل من سار على الدرب وصل ، التعلم ليس له عمر ، أنت قادر على التعلم ، ما استطاع الناس الآخرون فعله أستطيع كذلك أنا فعله ، آنَ أوان التعلم ولا بُدَّ من التحرر من الجهل . لم يكن ذلك حواراً من طرف واحد ، لقد كان حواراً متكرراً يتجاذبه طرفان داخل نفسي .. أحدهما سلبي والآخر مشجع إيجابي ، ولا أدري من أصدق أو مع من أقف !!

وفي يوم من الأيام .. أخذت ورقةً وقلماً وأخذت أخط خطوطاً لا معنى لها ، لكني فرحتُ فرحاً كبيراً بقدرتي على مسك القلم وتحريكه ، وفرحت بالخطوط التي ظهرت على الورقة . كان إنجازاً كبيراً في نظري ، لذا حملت الورقة مسرعاً إلى المحاسب الهندي لأسأله عن رأيه في قدرتي على مسك

القلم والخطوط التي ظهرت على سطحها . فلما رأى المحاسب خطوطي المبعثرة ، ضحك ضحكة الساخرين وأشاح بوجهه عنها قائلاً لي بصوت متهكم : اترك ذلك عنك ، لم يعد عمرك وعقلك يساعدك ، لقد كبرت على التعلم ، لقد خلقت لتكون سائقاً لهذا الدكّان الصغير .

أُحبطت تماماً من كلماته القاسية .. كلماته التي انصبت على جسمي كالرصاص . شعرت بثقل في جسمي يجذبني إلى الأرض ، فرميت بجسدي على كرسيٍّ قريب أنظر بيأس إلى ورقتي وخطوطي . شعرت بحال من الإحباط والكآبة تغشاني ، تئن من وطئتها وشدتها الجبال العظام . نظر إليَّ السائق الهندي مشفقاً هذه المرة وقال : إذا كنت راغباً حقاً في التعلم ، فلا بُدَّ أن تذهب إلى معهد يعلمك .

معهد يعلمك .. كانت هاتان الكلمتان أول بارقة أمل لمعت في ذهني ، لقد أهدتني هاتان الكلمتان إلى أول خيوط إمكانية التعلم وأنا في هذا السن الكبير . قررت من فوري البحث عن معهد يعلمني القراءة والكتابة ، فخرجت بسيارتي أجوب شوارع مدينتي في عُمان لعلي أجد المعهد الذي أنشده . وبعد نصف ساعة من البحث .. كانت سيارتي أمام المعهد المطلوب .

ذهبت إلى المكتبة القريبة من المعهد واشتريت منها أوراقاً وعشرين قلماً بألوان مختلفة . وقبل أن أدخل إلى المعهد .. جلست في سيارتي أخط وأكتب ، لكنـي لا أعـرف ماذا أكتب . دخلت المعهد وكان أول يوم لي في تعلم القراءة والكتابة ، وكان عن الحروف الأبجدية . شعرت بالتحدي والصعوبة وشعرت في الوقت نفسـه بالمتعة والإثـارة ، لقد كانت قراءة الحـروف الأبجدية لي كقـراءة المتعلمين من أقرانـي للحروف الهيروغلوفيـة القديمة ، فلم يكن الأمر يسيراً عليَّ أبداً .

بعد أن خرجت من المعهد .. يَمَّمْتُ وجهي إلى بيت صديق لي ليساعدني في سرعة تعلمي للحروف الأبجدية . أشار عليَّ ذلك الصديق بتعلم الحروف الإنجليزية معه ، وقال : المعهد يعلمك الحروف العربية وأنا أعلمك الحروف الإنجليزية ، فالحروف الإنجليزية أفيد لك من تعلم الحروف العربية . لا أدري لمـاذا قال ذلك ؟! لكنني قبلت نصيحته وركـزت معه على تعلم اللغة الإنجليزيـة . مرت الأيـام .. وتعلمت من صديقي الحـروف الإنجليزيـة التي أجدتها تماماً لشدة شوقي إلى التعلـم والتغير . ركزت علـى القـراءة والكتابـة ، فكنت أقرأ الكتب الصغيرة للسـنة الأولـى الابتدائية ، وأقضي جانباً ليس بالقليل من وقتي في الكتابة .

بعد عدة شهور .. وجدت على لوحة الإعلانات في صالة المعهد إعلاناً لدورة في الحاسوب ، ولم أعرف ما الحاسوب ؟ ذهبت إلى إدارة المعهد وطلبت إليهم أن ألتحق بدورة الحاسوب التي ظننتها أنها جزء من برنامج تعلم القراءة والكتابة . خيَّرني الموظف المسؤول بين التسجيل في برنامج التشغيل أو البرمجة ، ولم أكن أعرف الفرق بينهما ! فسألت عن الأصعب والأحسن ، فأخبروني بأنَّ البرمجة أصعب وأنفع ، فتركت التشغيل واخترت البرمجة .

لم يعد عندي شهوة لتعاطي الحشيش أو وقت أضيعه مع البطّالين والفارغين ، فأنا في سباق مع الزمن ، والتعلم أصبح عندي قضية مصيرية ولا بُدَّ أن أكون متعلماً . لقد أخذت العهد على نفسي أن أترك مجالس اللهو والعبث ، وأتناسى تاريخي الفارغ وراء ظهري ، وأن أمضي بعزم إلى صناعة مستقبل واعد لي ، مذكراً نفسي دائماً بأن كل من سار على الدرب وصل ، وأن من زرع حصد ، وأنَّ من جدَّ وجد .

دخلت البرنامج الأول في البرمجة مع مجموعة من الزملاء الهنود ، لقد كنت المواطن الوحيد في ذلك البرنامج ، وكان المدرب أيضاً من الجنسية

obeikandl.com

الهنديــة . أمضيت في البرنامج أربعة شــهور ولم أفهم من البرمجة شــيئاً على الإطلاق ، لكني تعلمت اللغة الهندية في أربعة شهور لكثرة مخالطتي لزملائي الهنود ولمدرب البرنامج الذي ضاق بي ذرعاً وضاق بأسـئلتي التي لا تنتهي . كثيراً ما كنت أشــعر أنني عبئــاً ثقيلاً على زملائي وعلى المدرب وعلــى البرنامج ، لكني كما قلت : قررت أن أتعلم ، وأن أترك أصفاد الجهل وظلماته مهما كلفني ذلك من جهد وثمن . لم أنجح في هذا البرنامج من أول مرة ، فقررت إعادة المحاولة ، فنجحت فيه في المرة الثانية .

بعد ذلك النجاح الشــاق .. أخبرني المعهد بأنَّ هناك ثلاثة برامج أخرى متقدمــة في البرمجة إذا كنت أرغب التســجيل فيهــا . دخلت تلك البرامج جميعهــا ، وأنهيتها في وقتهــا دون تأخير أو إعادة . ثــم أخبرني زملائي في المعهــد أنَّ هناك في المعهد برامج خاصة بلغة الكوبل إذا ما أراد أن يتفوق في علوم الحاســب ويتميز فيه أكثر . لم أتردد في التســجيل في تلك البرامج ، فلقد أصبحت عشقي وغرامي ومتعة يومي . دخلت تلك الدورات جميعها ، وبعد شهور ليست بالقليلة تخرجت في ذلك المعهد .

لقد أنهيت البرامج جميعها في ذلك المعهد ، وأعطوني بها شهادات تشير إلى ذلك . أنهيت دوراتهم فظننت أن ذلك نهاية التعلم ، لكنهم أخبروني في المعهد أنَّ التعلم لا ينتهي . المشكلة ببساطة أنه لا يوجد في معهدهم في الوقت الحاضر أي دورات جديدة يقدمونها لي ، لذا لجأت إلى قراءة كل شيء يمر علي من الإعلانات والصحف الأجنبية ، لعلي أجد فيها برنامجاً جديداً أو دورة حديثة أتعلمها .

وفي أحد الأيام .. وجدت إعلاناً عن وظيفة مبرمج في أحد المصارف المشهورة في بلدي ، فسرحت مع هذا الإعلان بعيداً وتماديت في خيالي . لقد تخيلت نفسي مسئول البرامج الحاسوبية في ذلك المصرف ، وشخصية مرموقة مهمة لا يستغني عنها المدراء ، وخبيراً تكنولوجياً تستشيره البنوك جميعها .

قمت بأول إجراء عملي للتقدم إلى تلك الوظيفة ، فذهبت في اليوم نفسه إلى ذلك المصرف وكتبت عندهم طلب التوظيف . تقدم معي إلى تلك الوظيفة عشرات من المبرمجين الذين منهم من يحمل الشهادة الجامعية في البرمجة والحاسب الآلي ، أو من تخرج في الكليات التكنولوجية ، أو

من يملكون الخبرة العملية في أعمال حاسوبية سابقة ، لقد كانت بحق منافسة غير متكافئة مع شخص في مثل تعليمي وتدريبي . قابل مسئولو المصرف على مدى أيام الجميع دون استثناء بأسئلة شفوية وتحريرية لاختيار شخص واحد لشغل تلك الوظيفة .. وكانت المفاجأة .

تقول نتيجة المقابلات أني الأكثر تميزاً من بين كل الذين تقدموا ، والمرشح الأول لشغل وظيفة مبرمج في ذلك المصرف . اتصل بي مدير قطاع الحاسب الآلي في المصرف وهنأني على نجاحي وترشُّحي للوظيفة لديهم ، وطلب إليَّ الحضور إليه في الدور الخامس لمقابلته ، وألا أنسى أن أحضر للمقابلة شهادتي الجامعية في البرمجة ، ثم أغلق جهاز الهاتف سريعاً .

وفي تمام الساعة العاشرة من اليوم الثاني .. كنت في مكتب ذلك المدير . فسألني عن شهادتي الجامعية ، فقلت في ثقة وصراحة : لا أملك شهادة جامعية . فظن المدير أني فقدتها ، وطلب إليَّ استخراج شهادة أخرى من جامعتي بديلاً عن التي فُقدت . فقلت له موضحاً : أنا لم أدخل الجامعة أبداً ولم أدرس فيها . فقال : إذاً أحضر لي شهادة الثانوية العامة . فأخبرته

أني لا أملك شهادة الثانوية العامة . فقال : إذاً أحضر لـي شهادة المتوسطة . فقلــت : يــا ســعادة المدير أنا لم أدخل مدرســة في حياتي ، ولــم أكن أبداً داخل أسوار المدارس ، كل الذي أملكه شهادات تدريبية في البرمجة من أحد معاهد الحاسب الآلي في المدينة .

صُدم المدير وأسِف مسئولو المصرف على قبولي ، فقد اعتذروا من قبول كل المتقدمين للوظيفة بعد نجاحي ، وأمضوا الكثير من الوقت في المقابلات والتشــاور وفحــص اختبارات المتقدمــين .. وقت وجهد يصعــب على إدارة المصرف الإعداد له من جديد . عُينت في البنك بوظيفة موظف اســتقبال ، وهي وظيفة إدارية عادية جداً لا تناســب مهاراتي وقدارتي في البرمجة .. فطلبت مقابلة المدير العام لأمر مهم .

كان خيالي واســعاً .. فكثيراً ما أتخيل نفســي وأنا ذلك المبرمج المتفرد الــذي يعرف خبايا البرمجة وأســرارها . في ذلك الوقــت .. كنت أنظر إلى نفســي نظرة تقدير واحترام ، لا سيما بعــد التغيير الكبير الإيجابي الذي اســتطعت أن أحدثه في حياتي . أنا أعرف عمــق معلوماتي وندرة مهاراتي ، وأعــرف تماماً ما لدي مــن الإمكانات وما يمكننــي أن أقدمه للمصرف من

خدمات تكنولوجية وإنجازات .

شعرت بأني أظلم نفسي إن قبلت بالاستمرار بوظيفة موظف استقبال ، فطموحي أكبر وخيالي أوسع وإتقاني للبرمجة متميز . وإذا كنت مقتنعاً وواثقاً بمهاراتي وقدراتي إلى هذا الحد ، فمن السهل عليَّ إقناع الآخرين بها . لم أشأ أن يطول ظلمي وغبني أكثر من ذلك .. فحُدِّد لي موعدا قريباً لمقابلة المدير العام .

حضَّرتُ نفسي للمقابلة ، فأعددت لها بداية جاذبة ، ومطالب موجزة ، وخاتمة مشاعرية مركزة . لقد تدربت على الحوار والأسئلة التي أتوقع أن تدور بيني وبين المدير ، وحضَّرتُ جيداً إجاباتي وبعض المقترحات التكنولوجية التطويرية التي أود عرضها بين يديه . لقد تخيلت اللقاء مراراً وتكراراً ، فرأيتني وأنا متحمس في حواري ، واثق بإجاباتي ، مفتخر بعرض خدماتي ومقترحاتي . لقد تخيلت حتى أسوأ التوقعات التي ممكن أن تحدث بذلك اللقاء .. المهم أني شعرت بجاهزيتي الكبيرة للقاء المرتقب .

تمت المقابلة في موعدها المحدد ، فشرحت للمدير خبرتي ومهاراتي في البرمجة ، وما أستطيع أن أقدمه من خدمات تكنولوجية وبرامج حاسوبية

تيسِّـــر وتسرِّع للموظفين والعملاء معاملاتهم ، وتوفر على مصرفهم مئات الآلاف مــن الدولارات . أنا أفضل اســتثمار لكم يا ســعادة المدير ، المهم أن تضعونـــي في المكان المناســب لي واللائــق في خبرتي بالبرمجــة . البرامج الحاســوبية المتميــزة هي عامل مهم في تفاضل المؤسســات عــن بعضها .. والقرار لكم في النهاية .

اقتنــع المدير بحديثــي ، ونقلني بقــرار فوري في ذلك اليوم إلى قســم الحاســوب . اجتهدت كثيراً في هذا القسم لأكون على قدر حديثي وعرضي أمــام المدير ، فبــدأت أراجع الممارســات ، والخدمات الحاســوبية ، وقنوات الاتصال التكنولوجية بين العاملين ، وبين العاملين والعملاء . لقد طوَّرت وابتدعــت الكثير من البرامج ، واقترحت البدائل ، وألغيت القديم ، فوفَّرت للمصرف بعد عدة شهور ملايين الدولارات التي ساهمت في تميزه ، وقفزت بأرباحــه مراتــب ودرجات . عــرف المدير العام وبجــلاء الآن صدق حديثي وقيمة خبرتي ومهاراتي ، فعينني رئيساً لقسم الحاسوب في المصرف .

أمضيــت شــهوراً في ذلك المنصب ، ورغــم راتبي الجيد ووضعــي الممتاز في

البنك ، إلا أنني ما زلت أرى لنفسي مكانة ومكاسب أعلى مما فيه الآن .. لقد كان ذلك إحساساً دائماً يخالجني . لقد ساهمت بفعالية يشهد لها الجميع في رفع المستوى التكنولوجي للمصرف وزيادة أرباحه وعوائده ، ولا بدَّ من مكافأتي على ذلك ورفع أجري . فلم أتردد في الدخول على المدير وإطلاعه على طلبي الذي أنا واثق من استحقاقي له . وفعلاً لم يتردد المدير العام بتحقيق مطلبي فضاعف راتبي ، وأشعرني بكلماته الصادقة وثنائه الكثير واستقباله البش الدافيء ، بأهميتي وخبرتي التي لا يستغني عنها المصرف أبداً .

نسيت منذ زمن بعيد بقالة أبي ، وكل من أعرف من الفارغين ، وركزت كثيراً على مستقبلي وإنماء قدراتي وتطويرها . لقد وجدت ذاتي ، وعرفت قيمة خبراتي ومهاراتي ، وعرفت أني رجل مهم جداً لا يمكنه الاستمرار في المصرف كموظف عادي أبداً !

لقد عملت سنة كاملة في منصب رئيس قسم الحاسوب ، لكني الآن أفكر بجدية بترك المصرف !! أصبحت أريد أن أسس لنفسي مكتباً للاستشارات التكنولوجية ، أخدم به كل من يطلب إليَّ المساعدة ، وكل من يريد أن يرى

لمؤسسته التطور والنماء والتنافس التكنولوجي مع الآخرين . لكني قلت لنفسي : إن ضاعف المصرف راتبي مرة ثالثة ، سأَعْدِلُ عن قراري ، وأؤجِّل طلب الاستقالة حتى حين .

قابلت المدير العام لأطلعه على قراري ، فرفض المدير مضاعفة الراتب . وحينها سحبت استقالتي من جيبي ووضعتها أمامه وقلت : قراري نهائي لا رجعة فيه . فطلب إليَّ المدير العام التريث ، وإعطاءهم مهلة زمنية يجدون فيها بديلاً عني . فقلت : لكم مني ستة شهور ولا زيادة .

وبعد ستة شهور .. استقلت من المصرف ، وفتحت مكتباً للاستشارات في الحاسب الآلي . كان أول زبائني هو مصرفي الأول ، الذي عيَّنني رؤساؤه مستشاراً لديهم غير متفرغ للخدمات التكنولوجية بالراتب الأخير الذي تركته نفسه . لقد فتح الله عليَّ فتحاً عظيماً ، وانهالت عليَّ العروض الكثيرة من كبرى المؤسسات المصرفية الحكومية والخاصة . أصبحت من الذين يطلبون في الأزمات الكبرى ، وأصبحت مشهوراً متميزاً متفرداً في خدماتي وخبراتي ، ولله الحمد والمنَّة .

وبعد زمن ورغم امتلاكي لمكتب استشارات كبير له سمعته ووزنه

.. كانت نفسي تتطلع إلى شيء أكبر في المكانة والطموح . لقد وجدت الفرصة التي أبحث عنها من زمن ، وجدت الفرصة التي تلبي طموحاتي وأحلامي ، وجدت فرصتي الحقيقية في إعلان لشركة أعمل بها حالياً .. أعمل بها بصفة الملكية وليست التبعية . بيني وبينهم ثلاث سنوات ، فإما أن أكون مالكها أو أكون أكبر منافس لها .

انتهت قصة محمد العماني إلى هذا الحد في كتاب الدكتور بشير الرشيدي (تحرر من قيودك) ، ولم أعرف بقية قصته وآخر أحلامه وإنجازاته . فتوجهت إلى ديوان الدكتور بشير في شهر أغسطس ٢٠١١ لأعرف منه بقية الحكاية . فقال لي : التقيت بمحمد بتلك الدورة التدريبية قبل أكثر من ١٥ سنة في مكتب الإنماء الاجتماعي ، ولا أعرف عنه الآن أي شيء ، وأنا في شوق لمعرفة آخر أخباره ومشاريعه .

فأقول لمحمد العماني هذا إن قرأ قصته في كتابي ، ألا يبخل علينا باللقاء معه والتشرف بمقابلته ، فإني أريد أن أعرف ويعرف قارئي الكريم منه بقية قصة نجاحه وآماله . أريد أن يعرف منه القارىء العزيز قيمة المثابرة والعمل الجاد في صناعة المواهب والخبرات والنجاحات . أريد أن

لا تكن مثل البراغيث
حاول من جديد ولا تيأس

يقول زيج زيجلر في كتابه الرائع (أراك على القمة) : تستطيع تدريب البراغيث عن طريق وضعها في برطمان مغلق بغطاء . إنك ستشاهد في بداية التدريب البراغيث وهي تقفز إلى أعلى ، بحيث ترتفع وتصطدم بالغطاء مرات ومرات ومرات عديدة . وبينما أنت تراقبها ، ستلاحظ شيئًا مثيراً . . ستلاحظ أنّ البراغيث مستمرة في القفز ، لكنها لم تعد تقفز للارتفاع الكافي الذي يجعلها تصطدم بالغطاء ، وحينها يمكنك أن تزيل الغطاء . فرغم أنّ البراغيث ستواصل القفز ، إلا أنها لن تستطيع القفز خارج البرطمان أبداً ، أكرر إنها لن تستطيع القفز خارج البرطمان أبداً . السبب وراء ذلك بسيط ، لقد تكيفت البراغيث بعد فشلها مرات من الخروج من البرطمان على القفز لارتفاعات محددة لا تبلغ القمة . فبمجرد أن تكون قد تكيفت على هذا القفز المحدود ، يكون هذا الارتفاع هو أقصى ما تستطيع بلوغه ولن تستطيع تجاوزه أبداً .

أقول : كثيراً ما يواجه أصحاب الطموحات العالية الكثير من السدود والقيود والصعوبات والمعكرات ، لكنهم بفطنتهم وثقتهم بأنفسهم عرفوا أنّ ذلك ليس عيباً في ذواتهم ، أو حظاً سيئاً يلازمهم ، أو مؤامرة تحاك ضدهم ، بل هو طريق طبيعي لنجاح ، وضريبة ألم لإنجاز ، ومخاض متوقع لفرحة . لذلك فهم دائمو المحاولة ، يرددون قول الله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام في سورة يوسف :

﴿ ولا تَايئَسوا من رَّوحِ اللهِ ، إنَّه لا يايئَسُ من رَّوح اللهِ إلا القومُ الكافرون ﴾